Print ISSN: 2791-2248
Online ISSN: 2791-2256
مَجلّةُ تَسْنِيمِ الدَوليّة
للعُلومِ الإنسانيّةِ والاجتمَاعيّةِ والقانونيّةِ

وقائع المؤتمر العلمي اللغة العربية بين التراث والمعاصرة –
نيسان – April/2026

تحليل الخطاب الشعري في قصيدة (يا دجلة الخير) للشاعر محمد مهدي الجواهري

م.م ليث صبيح عطيه عبد الميالي [1]
[1] وزارة التربية المديرية العامة للتربية في محافظة القادسية
laith199sabieh@gmail.com

الملخص. إن البحث بصدد تقصي خطاب الجواهري الشعري مستندا على القراءة التحليلية أخذا بنظر الاعتبار البعد التأويلي وما يضيفه النص من أفق توقع للمتلقي وأهمية البحث متأتية من الأهمية التي مني بها خطاب الجواهري في هذه القصيدة على مستوى المضامين والاعتبارات الاجتماعية واللغوية. عليه تُعدُّ قصيدة الجواهري هي بمثابة دعوة سياقية متناصة مع الأبعاد الثورية والتوعوية الهادفة لرفع الهمة، وبذلك يمكن عدُّ القصيدة وصف اجتماعي لبعض الرؤى الايدلوجية وأهمية إزالتها والابتعاد عنها. وإن قصيدة الجواهري (يا دجلة الخير) كانت دعوة لسياقات تناصية حرص الشاعر على توظيفها وتأصيلها في خطابه؛ ليكون على تواصل وتمامية التأكيد؛ لرفع معنويات المتلقي وهذه مظاهرة خطابية، سعى الشاعر لتحقيقها، وبهذا فقد افرزت بعدا تداوليا يستند في لغته وبلاغته ومضامينه على وصف اجتماعي مفعم في بعض الاحيان برؤية ايدلوجية وكان حريصا على اقتناء هذه الانماط الخطابية. وبهذه الجدلية الخطابية،، تكشف عملية المقاربة الدلالية والتداولية فحوى الخطاب ومضامينه الاجتماعية.

Abstract. If an investigation into al-Jawahiri's poetic discourse is found, based on an analytical reading that takes into account the interpretive perspective and the text's anticipated horizon of reception, the importance of this research stems from the significance of al-Jawahiri's discourse in this need for a level of social and linguistic content and considerations. Therefore, al-Jawahiri's signature is its intertextual agreement with the revolutionary and awareness-raising dimensions aimed at the ambitious Ferrari, and

Print ISSN: 2791-2248
Online ISSN: 2791-2256
مَجلّةُ تَسْنِيمِ الدَوليّة
للعُلومِ الإنسانيّةِ والاجتمَاعيّةِ والقانونيّةِ

thus it can be considered a social description of some ideological visions, their importance, and their distancing from them. Al-Jawahiri's poem "O Tigris of Goodness" was an invitation to intertextual contexts that the poet was keen to employ and incorporate into his discourse; to be continuous and complete; a tower of the recipient's morale. This is a rhetorical phenomenon that the poet sought, as it produced a pragmatic dimension in his language, rhetoric, and content, on a social description sometimes imbued with an ideological vision, and instead prefers to acquire these rhetorical patterns. The rhetorical debate has emerged due to the semantic and pragmatic nature of the discourse, its content, and its social implications.

المقدمــة

إنّ المقاربة التحليلية لخطاب ما، يفرض أحيانا على المحلل خصوصية الدراسة الهادفة مراعيا بذلك السياقات المرجعية، من خلال تقصي الأبعاد اللغوية التركيبية أو النحوية، ولعل ما حققته المدارس التحليلية في جوانبها الإجرائية، مراعية بذلك التحليل السيميائي والتداولي.

وعلى غرار هذه الرؤية سعى البحث إلى تقصي خطاب الجواهري، وما يتضمنه من عمل تواصلي اجتماعي من شأنه التأكيد على أهمية السياق الذي عاشه الشاعر، وقد فرض عليه سلوكاً معيناً وخطاباً خاصا. وقد تبنى البحث المنهج الوصفي التحليلي، آخذا بنظر الاعتبار البعد التداولي أو التأويلي وما يضفيه النص من أفق توقع للمتلقي. وأهمية البحث متأتية من الأهمية التي مُني بها خطاب الجواهري في قصيدته(يا دجلة الخير)، التي حاولت أن تعالج جملة من المضامين والاعتبارات الاجتماعية التي كانت سائدة آنذاك، فالشاعر بصدد توجيه الخطاب إلى بلده الذي فارقه على مضض. فالفكرة التي حرص الشاعر على إيصالها للمتلقي تكمن بمدى أهمية البلد الذي فارقه الشاعر. وانطلقا من هذه العناية يسعى البحث إلى كشف مضامين هذا الخطاب، وما يحمله من هموم تخص أبناء وطنه، وقد جاءت خطة البحث على مقدمة وتمهيد تناول فيه (مفهوم التحليل والخطاب) ومجموعة من المطالب من قبيل (دلالة العنوان، ودلالة الإحالات المتمثلة بتكرار أسلوب النداء والضمير، ودلالة الربط بأسلوب الوصل (حرف العطف)، ودلالة التماسك الكلي للخطاب عبر أسلوب التمني والترجي وأسلوبي التوكيد والاستفهام)، وخاتما البحث بخلاصة مفادها أهم النتائج التي توصل إليها البحث

مَجلّةُ تَسْنِيمِ الدَوليّة
للعُلومِ الإنسانيّةِ والاجتمَاعيّةِ والقانونيّةِ
Print ISSN: 2791-2248
Online ISSN: 2791-2256

التمهيد

إن مصطلح تحليل الخطاب، يعدُّ من المصطلحات التي تتصف بمجال معرفي واسع ومتشعب وذلك تبعا لمجموعة من الإشكاليات التي تتعلق بالمفهوم وتاريخ النشأة ومجال الدراسة؛ إذ هو " خط يعبر اللسانيات وعلم الاجتماع وعلم النفس والأدب والتاريخ ينمو ويتجدد وتتفرع اتجاهاته وتتنوع مقارباته ما دام منفتحا على إنجازات الحقول المعرفية المذكورة " (عبيدي، 2018: 33) ومن ذلك يمكن أن يُعدَّ تحليل الخطاب "سلسلة من المقاربات متداخلة الاختصاصات يمكن أن تستعمل في استقصاء عديد المجالات الاجتماعية المختلفة في أنواع عديدة ومختلفة من الدراسات" (يورغنسن وفيليبس، 2019: 13). وبهذا فإن تحليل الخطاب يتسم بمجموعة من المقاربات، منها المقاربة التداولية والسيميائية والفلسفية والتلفظية (يورغنسن وفيليبس، 2019: 14–15).

وعلى غرار ما ذكر نحاول أن نبحث في مفردتي (التحليل والخطاب) وذلك من أجل الوقوف على البنية التركيبية لهذا المصطلح.

التحليل لغة:

يقول ابن فارس (ت 395هـ) في مادة (حلّ): "حلّ له فروع كثيرة ومسائل، وأصلها كلها عندي فتح الشيء، لا يشذ عنه شيء، يقال حللت العقدة أحلّها حلا" (ابن فارس، 1979: 20/2). ومن ذلك أيضا يُعدُّ "الأصل في هذه المادة هو رفع العقد والحُرمة ويدل عليه وقوعها في مقابل الحرمة... ويراد بالفتح ورفع المحدودية والممنوعية، وإنزال القوم برفع الحدود اللازمة" (المصطفوي، 2009: 317/2–318).

التحليل اصطلاحا:

يكون التحليل تفكيكا للأشياء؛ أي تفكيك مكونات الشيء ومعرفة جزئيات بنياته الداخلية (الصغرى والكبرى)، والبحث في جزئيات التفاعل الحاصل بينهما (عمايرة وآخرون، 2015: 199).

وبذلك عُرف (التحليل) بأنه: " كل خاص متماسك في متتالية من الأشكال اللُّغوية مرتبة في جمل متعاقبة " (عزي، 2008: 134) وهو كذلك " كل تقنية تبحث عن تأسيس العلاقات أو الصلات التي توجد بين الوحدات اللغوية للخطاب المكتوب أو الشفوي على مستوى أعلى من الجملة " (عزي، 2008: 143).

مَجلّةُ تَسْنِيمِ الدَوليّة
للعُلومِ الإنسانيّةِ والاجتمَاعيّةِ والقانونيّةِ
Print ISSN: 2791-2248
Online ISSN: 2791-2256

ومن هذا المنطلق فإن مدرسة تحليل الخطاب، تعمل على دراسة الكيفية التي على وفقها تؤدي البنيات الخطابية الوظائف، بمعنى دراسة الإنتاج القولي أو الأقوال في سياقاتها، وهذا يتم على وفق الربط المباشر بين الخطاب النحوي ودلالته (العموش، 2018: 26) وعلى وفق هذه الرؤية يرى أهل الفلسفة واللغة، بأن مصطلح (التحليل) يسعى إلى تقطيع وتفتيت المادة اللغوية إلى وحدات صغيرة، بعد أن كانت بحقيقتها مركبا أو تركيبا كليا (عكاشة، 2012: 12-16).

وعليه يشكل مصطلح (التحليل) على وفق التوجه اللغوي والاصطلاحي الدراسة الداخلية للنص ومحاورته من الداخل؛ وذلك على وفق النشاط الذي يقوم به المتلقي لإدراك البنية النصية وما تضمره من دلالات؛ بمعنى الوقوف على مستويات التحليل للنص، بحثا عن الدلالة وانسجامها في بنية النص.

الخطاب لغة:

يرى ابن فارس بأن مادة (خطب) هي " أحدهما الكلام بين اثنين، يُقال خاطبه يخاطبه خطابا، والخُطبة من ذلك... والخُطبة: الكلام المخطوب به... وأما الأصل الآخر: فاختلاف لونين، الخَطباء: الأتان الذي لها خط أسود على متنها" (ابن فارس، 1979: 198/2)، وكذلك ترد بمعنى " المخاطبة والتخاطب: المراجعة في الكلام، ومنه الخُطبة والخِطبة، وأصل الخِطبة: الحالة التي عليها الإنسان إذا خطب، نحو الجِلسة. والخطب: الأمر العظيم الذي يكثر فيه التخاطب. وفصل الخطاب ما ينفصل به الأمر من الخطاب" (الأصفهاني، د.ت: 157).

والخطب هو بمعنى " خاطبه أحسن الخطاب، وهو المواجهة بالكلام. وخطب الخطيب خطبة حسنة. وخطب الخاطب خطبة جميلة وكثر خطّابها... واختطب القوم فلانا: دعوة إلى أن يخطب إليهم، يقال: اختطبوه فما خطب إليهم... وتقول له أنت الأخطب البيّن الخطبة: فتخيل إليه إنه ذو البيان في خطبته" (الزمخشري، 1998: 255/1).

ومنهم من يرى مادة (الخطب) هي بمعنى " الحضور والتكلم في قبال فرد أو أفراد فيحتاج إلى قيدين، وهذا المعنى تختلف خصوصياتُه باختلاف الصيغ: فالمخاطبة أو الخطاب يدل على إدامة الحضور والتكلم. والخطيب هو الذي من شأنه ذلك وهو متصف به. والخطب مصدر مجرد يدل على مطلق ذلك المعنى. والخُطبة فُعلة يدل على ما يُفعل به كاللقمة والعدة. والخِطبة فِعلة يدل على نوع خاص من الخطب كالقِعدة والجِلسة... وأما المعاني المختلفة المذكورة في اللغات والتفاسير: كالكلام

مَجلّةُ تَسْنِيمِ الدَوليّة
للعُلومِ الإنسانيّةِ والاجتمَاعيّةِ والقانونيّةِ
Print ISSN: 2791-2248
Online ISSN: 2791-2256

بين المتكلم والسامع، والمراجعة في الكلام والشأن والأمر العظيم والسبب والحالة المخصوصة وغيرها كلها من باب التقريب بمناسبة الموارد" (المصطفوي، 2009: 92/3).

وبهذه الإشارة يتسم مفهوم الخطاب لغويا، بأنه يعني الحضور والتكلم، أي مشاركة الشخص للناس وكلامه معهم، التي تعدُّ من مصاديق الأصل بالإضافة إلى ذلك يرد (الخطب) بمعنى الأمر العظيم (المصطفوي، 2009: 93/3).

الخطاب اصطلاحا

إن تعريفات الخطاب الاصطلاحي متنوعة ومرد هذا التنوع يعود إلى اقتران هذا بوصف آخر كالخطاب السياسي والخطاب الثقافي والخطاب الصوفي والخطاب التاريخي والخطاب الاجتماعي (الشهري، 2004: 34).

وبناء على هذا الاختلاف في النظم، نكسب خطابا شموليا يفتح لنا نافذة الوقوف على خطابات شتى تتعدد دلالاتها بتعدد الاتجاهات والمجالات، ومن ذلك عُدَّ الخطاب " ملفوظ طويل، أو هو متتالية من الجمل تكون مجموعة، يمكن من خلالها معاينة بنية سلسلة من العناصر بواسطة المنهجية التوزيعية، وبشكل يجعلنا نظل في مجال لساني محض " (بن سلامة، 2009: 16).

ويرى (ميشيل فوكو) بأن الخطاب هو " شبكة معقدة من النظم الاجتماعية السياسية والثقافية التي تبرز فيها الكيفية التي ينتج فيها الكلام كخطاب " (بوقرة، 2009: 13) وقد قال (رولان بارت): " يمكن للكلام الملفوظ أن يدعم السرد شفويا أم مكتوبا، وعبر الصورة، ثابتا أو متحركا، عبر الإيماءة وعبر مزيج منظّم من كل هذه المواد السرد حاضر في الأسطورة، الخرافة، المثل، الحكاية، القصة القصيرة، الملحمة، التاريخ، التراجيديا، المأساة، الملهاة، المسرح الإيمائي..." (بارت، 1988: 89).

ومن خلال هذه الرؤية يحال (رولان بارت) دراسة الخطاب لسانيا؛ إذ يرى الخطاب لا يوجد في الجملة؛ لأن الجملة هي القسم الأصغر الذي يمثل بجدارة كمال الخطاب، وعليه فالخطاب هو جملة كبيرة (بارت، 1988: 89). وهذا الفهم اللساني للخطاب يفترض متكلما ومستمعا حيث يسعى الأول إلى التأثير في الثاني عابر بمفهومه اللساني حدود الجملة.

وبعد ذكر المفهوم اللغوي والاصطلاحي (للتحليل والخطاب) نعرج على الرؤية التي مُني بها مفهوم تحليل الخطاب؛ وذلك في الدراسات التي اتخذت من الخطاب جانبا معرفيا لدراساتها، وقد تم هذا الأمر بتشكل دراسات عديدة من شأنها وضع رؤية معرفية تُعنى بتحليل الخطاب، وتم ذلك في الدول الغربية؛

مَجلّةُ تَسْنِيمِ الدَوليّة
للعُلومِ الإنسانيّةِ والاجتمَاعيّةِ والقانونيّةِ
Print ISSN: 2791-2248
Online ISSN: 2791-2256

لكنها كانت غير واضحة المعالم، لكن هذه المعالم اتضحت نهاية السبعينيات من القرن العشرين (عبيدي، 2018: 37).

ومن ذلك يرى (هاريس) بأن تحليل الخطاب هو " كل خاص متماسك في متتالية من الأشكال اللغوية مرتبة في جمل متعاقبة" (عزي، 2008: 134)، ويعرفه (جورج مونان) على أنه " كل تقنية تبحث عن تأسيس العلاقات أو الصلات التي بين الوحدات اللغوية للخطاب المكتوب أو الشفوي على مستوى أعلى من الجملة" (عزي، 2008: 134).

وعليه يسعى هذا التحليل إلى دراسة البنية اللغوية للخطاب أبعد من الجملة من خلال معرفة الكيفية التي يتم بها تحديد الوظائف، وهذا يتم بدراسة إنتاج كل نظام قولي على وفق السياق الذي نشأ فيه، وهذا يتم عن طريق الربط اللغوي المباشر لنظام اللغة النحوي ودلالته، وبذلك تكون الضرورة اللغوية لمقاربة البنى الدلالية قائمة على التحليل، والوصول إلى مقاصد الخطاب (العموش، 2018: 26).

ومن هذا المنطلق يسعى البحث إلى تقصي مقاصد الخطاب الشعري ضمن دائرة (تحليل الخطاب) متتبعا التراكيب النحوية والمعجمية والدلالية، وربطها بسياقها التداولي؛ آخذين بنظر الاعتبار المستوى التواصلي للعناصر من (مرسل ومتلق ورسالة)، ومدى أثر هذه العناصر في رفد النص واستكناه الدلالات والمعاني ضمن المجال التأويلي (الخوالدة، 2005: 24).

ولقراءة الخطاب الشعري أو تحليله يفرض على المتلقي مراعاة العناصر التي تفرض خصوصية الانسجام، والتماسك لبنية النص وضرورة فهمها وتحليلها، أي تحليل الخطاب الشعري ينظر إلى عناصر النص مستقلة عن البعض، وهذه العناصر باجتماعها تحيل على الدلالات الكامنة في الخطاب مع مراعاة بنية الخطاب، وضرورة البنى الصغرى وجزئياتها في تكوين خطاب شعري متكامل ومنسجم (مداس، 2007: 22).

وعليه يتضمن النص الشعري الفعل الكلامي، وهو مزود بمجموعة من العلاقات أو المستويات اللغوية كالمعجمية والصوتية والتركيبة، وهذه البنية النصية للخطاب الشعري، تحيل إلى صور وتراكيب، يسعى المتلقي إلى فهمها أو تحليلها على وفق الاستدراك التحليلي للأدوات اللغوية أو اللسانية، والتي من شأنها تعمل على اتساق النص كالوصل والاستبدال والاحالات والحذف (الخوالدة، 2005: 24).

وعلى وفق الرؤية الأنفة الذكر، تهدف الدّراسة إلى تحليل الخطاب الشعري لقصيدة الجواهري (يا دجلة الخير) مراعيا في تحليلها على وفق المنهج الوصفي التّحليلي المستويات المعجمية والتركيبة

والمجازية، وربطها بالمعنى الدلالي، آخذين بنظر الاعتبار أهمية التصور المرجعي لمستوى الخطاب ومضامينه الفكرية.

تحليل القصيدة (يا دجلة الخير)

1 .المطلب الأول: دلالة العنوان

إن عنوان القصيدة (يا دجلة الخير) الذي ورد بأسلوب النداء؛ نلمس فيه خطاباً مركزا على إحساس الشاعر، وشوقه لوطنه الذي فارقه؛ فوظف أسلوب النداء بالعنوان؛ ليُوحي بدلالة الفراق، وألم البعد، علما أن العنوان يتسم بفكرة تغريض الخطاب؛ فهو الذي يزود المتلقي بتوقعات شاملة لفحوى الخطاب، أي يمكن عدّه متحكم تأويلي على غراره يفهم المتلقي كلية الخطاب وغايته (بنيس، 2001: 45)، وهذا المنحى الخطابي الذي نلمس فيه دلالة البعد المشحون بالغربة، كشف عنه في ثنايا قصيدته، ومن ذلك فقد استند على زمن الماضي وضمير التكلم؛ ليبوح عن حال غربته؛ فيقول:

"حَيّيتُ سفحَكِ عن بُعدٍ فحيّيني ... يا دجلة الخير يا أم البساتين

حييتُ سفحَكِ ظمآنا ألوذُ به ... لوذَ الحمائم بين الماءِ والطينِ

يا دجلةَ الخيرِ يا نبعا أفارقهُ ... على الكراهةِ بين الحينِ والحين

إني وردتُ عيون الماء صافيةً ... نبعا فنبعا فما كانت لِترويني

وأنت يا قاربا تلوي الرياح به ... لَيَّ النسائم أطراف الأفانين

ووددتُ ذاك الشراع الرخص لو كفني ... يُحاك منه غداة البين يطويني"

(الجواهري، 1987: 112)

إن البعد السياقي لهذا النص، يحيل على دلالة ظمأ الشاعر، أو ألم الأقصاء الذي غيبه عن وطنه، ومن ذلك عبر عن دلالة الوصل، رغم بعده، وكأنه يعيش تلك الذكريات التي كان منغمسا فيها، وهو يحبو بين ثنايا وطنه، ومن هذا المنطلق استدعى في بعده التداولي عن طريق خطاب النداء (يا دجلة الخير، يا قاربا) وضمير التكلم (حييتُ، وردتُ، ووددتُ،...) صورة المشهد، الذي ألفه في وطنه، ولم يلمسه في بلاد الغربة. ولعل الأكثر فاعلية هو توظيفه لعبارات سيميائية من قبيل (السفح، أم البساتين، الشراع، الماء، الطين، الأفانين)؛ إذ أفصح بهذه العبارات عن ماهية الحراك الاجتماعي لبلده، وهو يمتلك أدوات العطاء التي افتقدها في غيره، وبهده الدلالية ذات البعد الرمزي لخيرات البلد، أباح الشاعر للمتلقي عن مكنون النفس، وما يعتريها نتيجة الغربة من ضياع وانقطاع؛ فالحُجب والموانع، كانت سياقا تداوليا أشارت إليه تلك العبارات السيميائية.

مَجلّةُ تَسْنِيمِ الدَوليّة
للعُلومِ الإنسانيّةِ والاجتمَاعيّةِ والقانونيّةِ
Print ISSN: 2791-2248
Online ISSN: 2791-2256

2 .المطلب الثاني: دلالة الاحالات الخطابية

ومن أجل تفعيل التواصل الخطابي بين الباث والمتلقي، يستعين النص بجملة من الإحالات أو الإشارات؛ وذلك لربط أجزاء الخطاب وتحقيق قراءة أو تلقي فعال، إضافة إلى جعل النص متماسك ومنسجم ومترابط (دي بوجراند ودريسلر، 1992: 89).

وبذلك تُعدُّ هذه الإحالات على اختلافها من أسماء أو إشارات تحيل على البنية الكلية الناتجة لشكل الخطاب وبنيته، فالتأويل على وفق هذا المقتضى من الإحالات يشكل دورا مهما في انساق الخطاب وشدة انسجامه (حسن، 2003: 76).

ومن هذه الإحالات التكرار بأسلوب النداء:

" يا دجلة الخير: ما يغليك من حنقٍ ... يُغلي فؤادي، وما يُشجيك يشجيني...
يا دجلة الخير: أدري بالذي طفحت ... به مجاريك من فوقٍ إلى دون...
يا دجلة الخير: والدنيا مُفارقةٌ ... وأيُّ شرٍ بخير غير مقرون...
يا دجلة الخير: كم من كنز موهبةٍ ... لديك في القمم المسحور مخزون
يا دجلة الخير: إن الشعر هدهدةٌ ... للسمع ما بين ترخيمٍ وتنوين"

(الجواهري، 1987: 115)

إن التعبير في هذه الأبيات بأسلوب النداء يمثل الصرخة، التي كشفت عن ذات الصراع التي مُنيت بمقتضى حال الشوق والإحساس بالوعي الحقيقي، بخيرات البلد، فالتكرار بهذا الأسلوب، هو إشارة إلى الانصهار النفسي والذاتي بكينونة البلد، وبهذا الإطار نلتمس سياقا اجتماعيا، يعكس بصورته التداولية، وتشكله الخطابي منظومة الدلالات الرمزية لفاعلية الانصهار بثيمة البلد، وشدة التناغم مع كنوز هذا البلد، وهذه العبارات تحمل في طياتها دلالة التشجي والحنين وعدم الاستسلام رغم البعد المضني.

ومن الإحالات التي أفرزها الشاعر في نصه الاستعانة بالضمير؛ ليشكل تماسكا في بنية النص ودلالة التأكيد على التحدي الذي فرضه البلد في شموخه وعنفوانه:

"وأنت يا قاربا تلوي الرياح به ... لَي النسائم أطراف الأفانين...
ما كنتُ في مشهد يَعنيك متهما ... خباً، وما كنتُ في غيب بظِنّين...
غازلتهن خليعاتٍ وإن لبست ... من الطحالب مزهو الفساتين...
لو تعلمين بأطيافي ووحشتها ... وددت مثلي لو أنَّ النوم يجفوني...
وأستريح إلى كوبٍ يُطِمّنُني ... أن ليس ما فيه من ماء بغسلين...

مَجلّةُ تَسْنِيمِ الدَوليّة
للعُلومِ الإنسانيّةِ والاجتمَاعيّةِ والقانونيّةِ
Print ISSN: 2791-2248
Online ISSN: 2791-2256

أجسُّ يقظانَ أطرافي أُعالجُها مما تحرَّقت في نومي يأتون..."
(الجواهري، 1987: 118)

إن البعد التأويلي للضمير في النص، يحيل على صلة الشاعر وتعلقه؛ إذ كان المُقتضى في النص، يشكل ملمحاً إشاريا وصوتا أطلقه الشاعر؛ ليستدعي أو يجمع شتات الخطاب الجمعي في المجتمع؛ وعلى غرار ذلك استعان بضمير (المخاطب والتكلم) كما في قوله: (أنت يا قاربا، وما كنتُ، بأطيافي، وددتِ)، ولعل هذا النوع من الخطاب، يُعدُّ تعبيرا وإيماءة لاستراتيجية التداول الدلالي؛ بحكم إحساس الشاعر بسياق الموقف سواء أكان الأمر متعلقا به أم بأبناء بلده، ودلالة الاستعمال لهذه الضمائر هو تواصل اجتماعي يؤكد على ضرورة الموقف المساند، وخصوصية السياق المعرفي تفرض الوقفة الجادة التفاعلية على الجميع.

3 .المطلب الثالث: دلالة الربط بأسلوب الوصل (حرف العطف)

إن الخطاب التواصلي، في تحقيق مراده يتطلب اتساقا يربط السابق باللاحق، انطلاقا من مفهوم عدّ النص عبارة عن خطاب يتسم بمتتالية مترابطة متماسكة، فعالة في تماسك النص (دي بوجراند ودريسلر، 1992: 92).

النص بهذه الخصوصية، فيه بعض المفردات أو الجمل، التي يتم الربط بينها عبر الوصل الذي يحقق صورة التماثل الدلالي في النص (حسن، 2003: 80).

ويبدو لنا في نص الجواهري أن دلالة الربط بحرف العطف؛ أخذت فاعلية الجمع الكبرى في جمع المصير وتحديده:

والخائفين إجتداع الفقر ما لهمُ والمفضلين عليه جدع عِرنين
واللائذين بدعوى الصبر مجبنة مستعصمين بحبلٍ منه موهون
والصبر ما أنفك مرادةً لمحترِبٍ ومستميت ومنجاة لمسكين
وأيُّ خيرٍ بلا شرٍ يُلقِّحه طهرُ الملائك من رجس الشياطين
(الجواهري، 1987: 121)

إن فحوى الترابط الذي يشكله حرف العطف(الواو) في هذا النص، هو عبارة متتاليات استدعائية تعول أحداهما على الأخرى، بمعنى خوض غمار الصبر، يحتم على أهل البلد رفض قانون الخوف، والسعي نحو المواجهة، وهذه الأبيات وغيرها في نص الجواهري استعانت بحرف العطف؛ ليكون

مَجلّةُ تَسْنِيمِ الدَوليّة
للعُلومِ الإنسانيّةِ والاجتمَاعيّةِ والقانونيّةِ
Print ISSN: 2791-2248
Online ISSN: 2791-2256

بمحوريته التداولية أقوى وأشد تماسكا لبنية النص، بالإضافة إلى ترميم أواصر السياقات الاجتماعية لأهل البلد على وفق منظومة رفض الظلم، والخروج من دائرة الخضوع والاستسلام.

وعليه يضفي الوصل على هذه النص رابطا دلاليا متناغما مع صيرورة الإحساس بمضاعفة الهمة وشد العزم، وتحقيق فكرة تداولية مفادها جمع الشتات.

4 .المطلب الرابع: دلالة التماسك الكلي للخطاب

إنَّ متانة الخطاب وتماسكه، تخضع إلى خاصية معينة، وقد تشير إلى الإمكانيات التي تفرضها الوسائل، التي يتضمنها الخطاب أو استند عليها، وهي بحد ذاتها لها دور كبير في وحدة الخطاب وشموليته، وبذلك فإن الوسائل اللغوية، تعلب دورا في تحقيق نصية الخطاب وتماسكه (دي بوجراند ودريسلر، 1992: 93).

إنَّ سياق نص الجواهري في قصيدة (يا دجلة الخير) يتضمن بكليته الخطابية نظام سيميائي يعبر عن مدلولات لغوية على وفقها يمكن " تحليل الخطاب الذي يختص بتحليل الوحدات اللسانية التي تتعالق مع الظاهرة الاجتماعية المختلفة" (عبيدي، 2018: 41).

وعليه يحاول البحث ضمن هذه الرؤية معرفة " مصطلحات التحليل النصي لتربط بين بنية الخطاب والعلاقات السلطية في المجتمع، ولتتناول كيفية تحقيق هذه العلاقات وتثبيتها، أو مناهضتها من خلال التفاعل الخطابي" (فوكو، 1987: 52).

ومن أجل إعادة معرفة هذه الترابط اللغوي وسياق النص أو مرجعيته، يتحتم على نظام الخطاب أو تحليله معرفة الكلية الشاملة لثنائية ثنايا النص، وما يدور حوله من مرجعيات؛ لذلك اشتغل نص الجواهري على سياقات مرجعية من خلال مفردات لغوية قابلة للتأويل:

" يا دجلة الخير: ليتَ الشكَ منجليا حقيقة دون تلميحٍ وتخمينِ...
أقول: ليت كفافا والكفاف به رحبُ الحياة وأقوات المساجين...
لعلَّ نجوى تداوي حرَّ أفئدةٍ فيها الحزازات تغلي كالبراكين... "
(الجواهري، 1987: 123)

يشكل خطاب التمني والترجي وسيلة لغوية بلاغية، تشير إلى فن تواصلية الباث مع المتلقي، كون التمني يضفي شاعرية الإحساس المفعم باليأس، وشعوره بخاصية الانبعاث أملا برفع الشك؛ لتبين الحقيقة دون الإشارة إليها أو التلميح، وعليه فإن الترجي يؤدي وظيفة الخطاب التواصلي. وعليه يكون

مَجلّةُ تَسْنِيمِ الدَوليّة
للعُلومِ الإنسانيّةِ والاجتمَاعيّةِ والقانونيّةِ
Print ISSN: 2791-2248
Online ISSN: 2791-2256

أسلوب الترجي والتمني يشكل ثنائية تواصلية من شأنها اضفاء دلالة الإحساس بمدى ألمه وشوقه لوطنه، وهو بحد ذاته استدعاء لسلطة الخطاب وشموليته.

وقد استدعى الجواهري في خطابه فاعلية التوكيد، من خلال توظيف الحرف المشبه بالفعل (إنَّ) أو الحرف (قد) من قبيل قوله:

"تشفيا: إنَّ لمحَ الفكر منطلقا قذى بعين دعيَ الفكر ما فون...
ماذا صنعت بنفسي قد أحقت بها ما لم يحقه بـ (روما) عسف (نيرون)...
أقول لو كنز قارون وقد علمت كفّاي أن ليس يُجدي كنزُ قارون
أقول: ما كنز قارونٍ ، فيدمغني أنّ الخصاصة من بعض السراطين..."
(الجواهري، 1987: 124)

إن التركيز أو التوكيد على حيثية تواصلية لخطاب ما؛ تعزز استراتيجية التعبيرات الموحية؛ لسمو الخطاب، آخذا بنظر الاعتبار أهمية الأحداث التي يطرحها أو يتضمنها في فحوى خطابه، ولعل أسلوب التوكيد أو التأكيد بـ (إن) الحرف المشبه بالفعل مع تكراره في النص، فالشاعر يضبط العلاقة بين الذات الطامحة والمجتمع؛ ليظهر في مجمل الخطاب الكلي بُعدا تداوليا، ينظم التوجيه أشكال البعد الخطابي لهذا النص، وعليه يمكن أن نلمس في خطاب الجواهري المؤكد الأبعاد الاجتماعية المهمة التي تهمه، وتشكل هاجسا في مخيلته وإحساسه.

وكذلك استدعى أسلوب الاستفهام في خطابه، وقد حاول البحث تقصي تداوليته عبر تقنية التأويل فيقول:

"أتضمنين لي مقيلا لي سواسية بين الحشائش أو بين الرياحين؟...
وأيُّ خيرٍ بلا شرٍ يُلقِّحه طهرُ الملائك من رجسِ الشياطين...
فهل بحسب الليالي من صدى ألمي أني مضيغة أنيابِ السراحين...
لمن؟ وفيم؟ وعمَّن أنت محتمل ثقل الديات من الأبكار والعون " (الجواهري، 1987: 126)

لأسلوب الاستفهام خاصية مهمة في تداولية الخطاب الاجتماعي، ومن ذلك حرص الشاعر في مخاطبته على هذا الأسلوب لخاصيته الدلالية الإجرائية، ومن ذلك استعان به ليدفع الذات المتغافلة لتحدد مسارها، وهذه الاستعانة بدائرة الأسلوب الاستفهامي، ليشكل بهذا الخطاب تواصلية تركز على سير المفاوضات مجتمع بلده، وهذا التوجه يدفع وتيرة الإثارة لدى القارئ ويزوده بتوقعات تأويلية مهمة

من قبيل إبعاد الألم، ونشر صورة الإحساس والتخلص من موت الضمائر والكراهية، والتباهي بالمستقبل المنشود عبر تقنية التحول، والانكفاء على تصحيح المواقف وجدية الشعور بالمسؤولية. وعليه الاستفهام يطرق سمع المتلقي ويشعره بالإثارة؛ للابتعاد عن التحولات الطارئة ومن أشدها فقدان الوطن والبعد عنه.

وبناء على هذه الدلالات الآنفة الذكر إن التحليل النصي لهذا الخطاب يحيل على سياقات، ومقاربات تداولية من شأنها الخروج من دائرة النص الداخلية إلى الأسس الخطابية الشاملة بمعنى الابتعاد في بعض الأحيان عن ألسنية الخطاب ومنطقيته وهذه الاستراتيجيات، التي اشتغل عليها الجواهري في قصيدة (يا دجلة الخير) كانت دعوة لسياقات تناصية، حرص الشاعر على توظيفها وتأصيلها في خطابه؛ ليكون على تواصل وتمامية التأكيد؛ لرفع معنويات المتلقي وهذه المظاهرة الخطابية، التي سعى الشاعر لتحقيقها، وبهذا فقد افرزت بعدا تداوليا يستند في لغته وبلاغته ومضامينه على وصف اجتماعي مفعم في بعض الأحيان لرؤية ايدلوجية، وكان حريصا على اقتناء هذه الأنماط الخطابية. وبهذه الجدلية الخطابية، تكشف عملية المقاربة الدلالية والتداولية فحوى الخطاب ومضامينه الاجتماعية.

الخاتمة

- خطاب الجواهري غني بالدلالات القابلة للتأويل والتحليل. فعتبة العنوان توحي بدلالة تغريض الخطاب الذي يسعى إلى دلالة البوح بالبعد المشحون بألم الفراق.
- وظف عبارات تداولية مقترنة بالضمير الذاتي والجمعي كاشفا من خلاله ماهية الحراك الاجتماعي، وما يعتريه من ضياع وانقطاع.
- استعان بإحالات خطابية، كونت خطابا متماسكا، ومنسجم ومترابط كأسلوب النداء الذي وفر من خلاله الإحساس بالوعي الحقيقي؛ لضرورة الانصهار النفسي والذاتي بكينونة البلد.
- الضمائر في خطابه لها دلالة استعمالية تداولية حالمة؛ إذ تدل على ضرورة التواصل الاجتماعي، تفرضه الوقفة الجادة من المجتمع، وهو بحد ذاته إشارة إلى استراتيجية التداول، والدلالي بحكم التواصل والانصهار بين الذات ومجتمعها.

- ـ يحقق أسلوب الوصل اتساقا يربط السابق باللاحق، ووفر منظومة متتالية مترابطة متماسكة، وهذه التقنية توفر التماسك الدلالي بمتانة النص وتماسكه، والوصل يضاعف بتناغمه وترابطه دلالة جمع الشتات.
- استدعى الشاعر خطاب التمني والترجي لتفعيل فن التواصل مع المتلقي، وهو أسلوب يفعل دلالة الإحساس بمدى ألمه وشوقه لوطنه، وشعوره بخاصية الانبعاث أملا برفع الشك وبيان الحقيقة.
- التوكيد في الخطاب يفعل العلاقة بين الذات الطامحة والمجتمع، ويؤكد به ضرورة الإصرار على الأبعاد الاجتماعية المهمة، كونها ضرورة ملحة، تشكل هاجسا في مخيلة الشاعر وإحساسه.
- وقد استعان بأسلوب الاستفهام؛ ليدفع الذات المتغافلة لتحدد مسارها، وتعمل عبر تقنية التحول والانكفاء على تصحيح المسار والموقف.
- قصيدة الجواهري، هي دعوة سياقية متناصة مع الأبعاد الثورية والتوعوية الهادفة لرفع الهمة، وبذلك يمكن عدُّ القصيدة وصف اجتماعي لبعض الرؤى الايدلوجية، وأهمية إزالتها والابتعاد عنها.

المصادر:

[1] ابن فارس، أبو الحسين أحمد بن فارس بن زكريا. *(1979). معجم مقاييس اللغة* (تحقيق: عبدالسلام محمد هارون). دار الفكر.

[2] الأصفهاني، أبو القاسم الحسين بن محمد. (د.ت) *.المفردات في غريب القرآن* (ضبط: هيثم طعيمي). دار إحياء التراث العربي.

[3] الزمخشري، أبو القاسم جار الله محمود بن عمر *.(1998). أساس البلاغة* (تحقيق: محمد باسل عيون السود). دار الكتب العلمية.

[4] الشهري، عبد الهادي بن ظافر *.(2004). استراتيجيات الخطاب: مقاربة لغوية تداولية*. دار الكتاب الجديدة المتحدة.

[5] المصطفوي، حسن *.(2009). التحقيق في كلمات القرآن الكريم* (ط3). دار الكتب العلمية.

[6] فاركلوف، نورمان *.(2009). تحليل الخطاب: التحليل النصي في البحث الاجتماعي* (ترجمة: طلال وهبه). المنظمة العربية للترجمة.

[7] عكاشة، محمود. *(2012). تحليل الخطاب في ضوء نظرية أحداث اللغة*. دار النشر للجامعات.

[8] يورغنسن، ماريان، وفيليبس، لويز. *(2019). تحليل الخطاب: النظرية والمنهج* (ترجمة: شوقي بو عناني). هيئة البحرين للثقافة والآثار.

[9] عبيدي، منية. *(2018). التحليل النقدي للخطاب: نماذج من الخطاب الإعلامي*. دار كنوز المعرفة.

[10] الجواهري، محمد مهدي. *(1967). ديوان الجواهري*. المكتبة العصرية.

[11] بوقرة، نعمان. *(2009). المصطلحات الأساسية في لسانيات النص وتحليل الخطاب*. جدارا للكتاب العالمي.

[12] عمايرة، موسى، وآخرون. *(2015). مقدمة في اللغويات المعاصرة* (ط7). عمان.

[13] جمعان بن عبد الكريم. *(2016). من تحليل الخطاب إلى التحليل النقدي للخطاب: مناهج ونظريات*. دار كنوز المعرفة.

[14] خطابي، محمد. *(1991). لسانيات النص: مدخل إلى انسجام الخطاب*. المركز الثقافي العربي.

[15] مداس، أحمد. *(2007). لسانيات النص نحو منهج لتحليل الخطاب الشعري*. جدار الكتاب العالمي.

[16] بارت، رولان. *(1988). النقد البنيوي للحكاية* (ترجمة: أنطوان أبو زيد). منشورات عويدات.

[17] الرسائل والبحوث

[18] عزي، رشيد. *(2008). إشكالية المصطلح في المؤلفات العربية: تحليل الخطاب نموذجاً* (رسالة ماجستير). معهد اللغات والأدب العربي، الجزائر.

[19] الخوالدة، فتحي رزق. *(2005). تحليل الخطاب الشعري: ثنائية الاتساق والانسجام في ديوان أحد عشر كوكباً لمحمود درويش* (رسالة ماجستير). جامعة مؤتة.

[20] حميد، رضا. (1995). الخطاب الشعري الحديث من اللغوي إلى التشكيل البصري. *مجلة الحياة، (69).*

[21] بن سلامة، إكرام. *(2009). المنطلقات اللغوية لتحليل الخطاب الشعري في النقد العربي القديم* (رسالة ماجستير). جامعة منتوري، الجزائر.

[22] العموش، خلود إبراهيم. (2018). وصايا الهداء عند الأمهات في التراث العربي حتى القرن الرابع الهجري (دراسة في تحليل الخطاب). *مجلة أم القرى، (22).*